"ايزابليتا" والتجديد

■ يقول لك صاحب المنزل : اخرج من بيتي فورا .. فتبتسم له مهدئا من روعه : لا عليك . انني لن اقيم في ضيافتك الا سنة او سنتين . تلك هي حال الرئيسة ماريا استيلا بيرون ، الملقبة بـ « ايزابليتا » مع شعب الارجنتين ومع القوى السياسية الارجنتينية .

منذ مات خوان بيرون وأرملته تخسر ريشها ريشة بعد ريشة .. كان رحيل « المنقذ » انقاذا لـه من مواجهة الانحلال الذي لا يلبث أن يدب في اوصال النظام حالما يظهر الملك العائد — أو المقيم — عاريا من أبهة العوده أو متعفنا من طول الاقامة . وقد عرف العالم عودات ، قبل هذه العودة، اثبتت ان تكرار التاريخ هو حلم الطبقات اليائسة . وعرف اقامات أيضا طالت حتى أمست مثارا لسؤال واحد تطرحه ملايين العيون : متى يموت هذا الانسان ؟

وكانت العثرة ، في الحالتين ، من نصيب الخليفة . فالناس لا يرضون بسهولة — بعد الرحيل المنتظر — أن يسلموا رقابهم لشبح الراحل . لذا تسارع سير الامور بعد ارتقاء ايزابليتا الى سدة السلطة . وظهر جليا ان المنقذ العائد لـم يكن ، قبل رحيله الى الابد ، سوى ستار مسدل على متناقضات ظلت دائما تصطرع فوق خشبة المسرح . وكانت أولى نتائج الرحيل أن شمل أنصار السلطة الجديدة تفرق .. حتى ان جناحا منهم مشى الى الجبال وشهر سلاحه ، هناك ، في وجه السلطة . ولم تعد ايزابليتا تعرف — لكثرة المعارك — شطر أي ميدان عليها أن تولي وجهها .. الفصائل المسلحة تقاتل في ولاية «توكومان» وتضرب أحيانا في قلب العاصمة . العمال يخرقون جميع الحواجز — بما فيها اتحاد النقابات الاصفر — ويدفعون بالمدن والمناجم الى حالة تتراوح بين الفوضى والشلل . بل ان اتحاد النقابات نفسه يكف ، شيئا فشيئا ، عن الاقتناع ببواعث ولائه للرئيسة . والعسكر — لولا مصائبهم السابقة بالسلطة ، ومصائب الناس بهم — ما كانوا يصبرون . لكنهم اليوم يرسمون ، بالقلم الاحمر ، حدود صبرهم تحت بصر الرئيسة . والسلطة التشريعية تنفر ، تحت وطأة الضغوط المتضافرة ، وترغي وتزبد مهددة بمحاكمة الرئيسة لـ « عدم كفاءتها » . حتى الوزراء يضطرون الى الرحيل ، لفرط الولاء ، فداء لرئيستهم . أو يضطرون الى تمييز مواقعهم عن موقع الرئيسة .

من يبقى مع الرئيسة اذن ؟ شبح الرئيس طبعا . ومعه مشاكل عويصة يتخوف من مجابهتها أي خليفة محتمل . من يستطيع بناء قاعدة جديدة لحكم جديد بهذه المواد المتناثرة ؟ من لمعالجة الغلاء والبؤس ومن يقنع الثوار بالقاء السلاح ؟ ذلك ان المعارضة في الارجنتين معارضات ، وليس ثمة من يستطيع أن يقول، اليوم، انه متأهب لدخول قصر الرئاسة! اذا رحلت عنه ايزابليتا . لهذا يبدو الانتظار سيد الساحة ، انتظار الانتخابات التشريعية في نهاية هذا العام .. انتظار انتخابات الرئاسة في ربيع العام المقبل .. لعل المستقبل يتكشف عن حلول لا ينبيء بها الحاضر .

لهذا أيضا تستطيع ايزابليتا أن تعلق دورة المجلس التشريعي ، حينما يهددها هذا الاخير بالمحاكمة . تفعل ذلك وهي واثقة من ان الريح ستبدد هذه السحابة ، وتعيد فتح الدورة بعد أن تتلقى وعدا باستيفاء مدة ولايتها كاملة .

نعرف رئيسا اخر يقيم على مقربة من هنا ، أعلن قبل أيام انه لا يريد تمديد ولايته . شكرا ، شكرا !..

احمد الجبيلي ■

نحن والعالم